البغـــاء

بقـــلم حبيب المعوشى

لقد كثرت فى هذه الأيام الأقاويل وتباينت الآراء فى البغاء ومنعه من البلاد ، واقصاء البغايا الأجنبيات عنه عملاً بقانون يسنّ لهذا الغرض . فمن مؤيدين لهذا القانون ، ومن معارضين له ، ولكل فريق فيما يدّعيه حججه وبراهينه . فالذاهبون الى تحريم البغاء مدنيا يقولون إنه آفة الاجتماع ومصدر الفاحشة ومجلبة البوائق ، وانه الحائل الكبير دون الزواج وتكوين الأسر ، وانه العقبة القائمة فى وجه كثرة المواليد الى غير ذلك من الأدلة . والقائلون مدنياً بإباحته يؤيدون دعواهم بأنه السور الذى يصون الكثير من شرف المحصنات ، والحاجز الذى يخفف — ان لم يقف — الاعتداء على شرف العذارى وأعراض الأسر . أما أنا فلست أريد بهذا المقال أن أؤيد رأياً أو أخالف آخر ، ولكننى إجابة لطلب بعض الاخوان من الأدباء رأيت أن أنشر بايجاز ما أعرفه من هذا القبيل وما قيل بهذا الشأن فى العصور الخالية وما كان للبغايا لدى مختلف الأمم من المنزلة والمقام .

كانت البغايا فى العهد القديم من بواعث الحمية فى الرجال . فكنّ ينبهنَ فيهم الحماس البدنى والنشاط العقلى ويحملنهم على الدفاع والجهاد والتضحية ، والتفانى فى سبيل الوطن والعقيدة . ففى حرب شعواء شهرت على قورونتية قامت البغايا فى اليونان يشجعن الرجال ليذودوا عن الحمى ، فهبّ الرجال هبةً واحدة وخرجوا بحشدهم زمراً وكتائب لمواجهة العدو مستبسلين مستميتين بفضل حضّ البغايا واغرائهنّ . ولم تقف البغايا عند هذا بل قمنَ وجذذن شعورهن — وكان الشعر فى ذلك العهد أنفس حلى النساء وأجمل أزيائهن — وقدّمنها قرباناً للزُهرة آلهة الجمال كى تساعد الاغريقيين على أعدائهم وتهبهم الفوز والظفر ، وبفضل ما أبدينه من ضروب التضحية والحضّ والتنشيط واستفزاز الهمم انتصر الاغريقيون انتصاراً عظيما ، وعزوا أهم أسباب فوزهم للبغايا ، فأكبروا عملهنّ وأعلوا قدرهنّ — ومثل هذا كان يجرى أيضاً فى كثير من البلاد الأخرى بحيث خصهنّ رجال تلك العصور الخالية بالمكان الأول فى الاجتماع وقالوا إن التمدين لا يقوم إلا بهنّ ولا يزداد انتشاراً إلا بمعاونتهن ، وقد شبههنّ بعض الكتاب الأقدمين بأريج ذكى يعطر الجو ويولى مستنشقيه الاغتباط ويحرك فيهم الهمة والجرأة والاقدام .

وظلّ فيهن على هذا حتى ظهر الدين المسيحى فحرمت النصرانية البغاء تحريماً مطلقاً وجعلت من أهم أسس الكمال فى الدين قهر الجسد وكبح الشهوات البدنية ، ومنذ العهد الذى انتشرت فيه هذه التعاليم أخذ نجم البغايا فى الأفول ، وبدأ مجدهن فى الزوال ، فأمرت كنيسة المسيح بنبذهن من الاجتماع ، فأقصينَ من المجالس ، واضطهدن وحقرن ، حتى غدون أحط من سقط المتاع

وعند ما كانت الأوبئة كالطاعون والهواء الأصفر تتفشى فى العالم أو تصيب الأمم نكبات ومجاعات كان الناس ينفون البغايا من البلاد ويرهقونهن بألوان العذاب ويذيقونهن شر الميتات ظناً منهم أنهم بما يفعلون يلطفون غضب السماء .

ففى بعض البلاد كان الزواج محرماً على البغايا ، وفى بعضها كانت البغايا يعزلن فى الحظائر شأن المواشى ، وفى عهد البابا بولس

المارك يضارب — مع اليهود — على إسقاط عملة بلاده فأثرى

وقد سمعتها أمس فقط تقول إنها تأسف على ڤلتر ، فصرخت أمها فى وجهها تقول « ألم يكن ذلك من قبل ؟ . » فقلت لهما إننى أتعهد بأن أرده اليهم لأنه معى فى الجامعة . فقالت الأم « هذا مستحيل ، انك لاتعرفه ، إن كبرياءه جرحت بلا شفقة ، فلا يمكن أن يعود ، انك لاتعرفه » — والحق ياصديقى انك لو رأيته لما رأيت إلا الكبرياء والعظمة ، هو ليس بالجميل . . طويل القامة كبير الوجه ، واسع العينين ، تحيط بهماهالة سوداء ، بوجهه خطوط كثيرة وتجعدات عميقة ، يتكلم بصوت خافت يكاد لايسمع مع كبر جسمه ، وأظهر مايتجلى عليه الكبرياء والتكتم ، وقد سألته يوماً عما ينوى عمله بعد حصوله على الدكتوراه فقال : انه سوف يرحل إلى أمريكا الجنوبية ليعيش هناك ، فقلت له ألا يعز عليك مفارقة أهلك ووطنك ؟ فاجاب «لا . ليس هنا أحد يهمه أمرى »

. . . .

الرابع أى فى القرن السادس عشر كان الشبان الأشراف فى إيطاليا يعدّون التغاضى عن حرق منازل العهر عاراً وفضيحة . وفى مدينة تولوز فى فرنسا كانت البغى التى تجرؤ على اجتياز عتبة أحد الأديرة تعدّ جانية فيقبض عليها وتاق فى السجن ، ثم تساق للمحاكمة فيحكم عليها بأقسى عقوبة .

وفى مدينة بوكير من أعمال فرنسا أيضاً كان يفرض فى كل عام على البغايا الجرى عاريات فى أحد الميادين إلى أن تنقطع أنفاسهن وتسكت دقات قلوبهن ، وفى مدينة مانطو فى إيطاليا كانوا يوجبون على البغى شراء ما تلمسه من الأشياء لدى مرورها فى الأسواق بحجة أنها دنسته بلمسها ولوثته بيدها النجسة الذليلة وأفسدت تجارته على صاحبه . وفى هذه المدينة أيضاً كان يحتم على البغايا تعليق الجلاجل فى أعناقهن عند ما يطفن فى المدينة أسوة بالمصابين بداء الجذام تنبيهاً للمارة كى يبتعدوا وتحذيراً لهم من العدوى .

هذا قليل من كثير مما كان يجرى على البغايا فى القرون الوسطى ، ولكن عند ما أخذ التمدين الحديث يتمشى فى أنحاء العالم قل اضطهاد البغايا وأبيح لهن مخالطة الناس والظهور فى المجتمعات والأندية والمجالس ، بل عدّ البعض وجودهن من عوامل النهوض والارتقاء ، وللبلوغ بالتمدين إلى أرقى درجات الكمال . ألسن هن اللواتى يبتدعن التأنق فى المعيشة ؛ ويطلقن الأزياء البديعة فى العالم ، ويروجن أسواق الحلى الغالية ، والملابس الأنيقة ، والمنسوجات الناعمة ، والمطارف الثمينة ، والمفروشات الفاخرة ؟ أولسن هن اللواتى يخرجن من خزائن الشيوخ الاشحاء ما اكتنزوه من تحف ، وكدّسوه من نفائس ، وخبّأوه من أموال ، فيغدقنها على الأسواق وينتفع بها المجموع الانسانى .

هذه هى الكلمة التى توخيت نشرها فى هذا الباب لعلّ فيها فائدة ، ومنها يرى أن البتّ فى تحريم البغاء أو إباحته يستلزم كثيراً من التروى والتفكير لمعرفة أيهما أفضل وأصلح للبلاد ، ولا نخال حكومتنا وهى لم تزل مترددة فى سن قانون التحريم إلا مواصلة الفحص والتمحيص حتى تهتدى إلى الأصوب والأنفع فتقره .

وبهذه المناسبة أذكر ما قاله ديموستين كبير خطباء أثينا ، من ثلاثة وعشرين قرناً ونيفاً — فى النساء والبغايا وما يبتغيه الرجال منهن وهذا تعريبه :

« نحن الرجال ، بحاجة الى ضروب ثلاثة من النساء :

المرأة الرشيدة المثقفة لنشغل بها العقل ونلهى بها النفس

والمرأة البارعة فى الجمال لنرضى بها الحواس ونسكن ثورات الجسد

والمرأة الصالحة الحكيمة لتلد لنا البنين وتدبر لنا المنازل . »

وقد رأى أن وجود البغايا فى البلاد ضرورى لاستفزاز هم الرجال إبّان الحروب لأن المحصنات قد يحجمن عن ذلك كيلا يعرّضن أزواجهن وفلذات أكبادهن الى الهلاك .

وقال أحد علماء الفرنسيين وكتابهم فى البغاء وفى الدفاع عن البغايا ما معناه :

« ينحى الناس باللائمة على البغى التى تبيع جسدها وينبذونها ويصمونها بالعار ، ويمطرونها وابلاً من السبّ والثلب ، على حين ان الكثيرين منهم يبيعون عقولهم وأفكارهم وضمائرهم ، فاذا كان العقل فى حكم الناس أفضل من الجسد وأسمى منه منزلة ، فلماذا يُحجم عن نبذ ممتهنيه ويغضى عن تعيير بائعيه ، بينا أن بيعه أجلب للعار والثلب والاستنكاف من بيع الجسد . ؟

ثم لماذا نرانا نجلّ من الرجال العظام والعلماء الأعلام من باعوا فكرهم وحريتهم وأباحوا عقولهم لقاء الدرهم . أليس هؤلاء أدعى للاحتقار والازدراء والنبذ من البغى التى تبيع جسدها وهو المادة الدنيئة الحقيرة الخاضعة للعقل ودونه قيمة ومقاماً . ؟

أجل ، ولكن بيننا الناس يتخبطون فى الخطأ والغواية ويعمهون فى كثير من الضلال ، وشرّ الضلال احتقار المرأة البائعة جسدها واجلال الرجل الذى يسلم للعهر عقله وفكره وضميره وحريته الوطنية والأدبية .

فلا مراء أن فى هذا الكلام حقائق يحسن النظر فيها وتعاليم يجدر بالعاقلين والنابهين التسليم بصحتها والاستفادة منها — سدد الله خطواتنا وهدانا سواء السبيل ؟

حبيب المعوشى